# لهجة تلمســان

# دراسة وتأصيل

**أمينـة طيبي**

**جامعة سيدي بلعباس**

**الملخص:**

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميع في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات. وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة.

**الكلمات المفتاحية:** تلمسان، اللهجة، علم اللهجات، علم اللغة الاجتماعي.

إن العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها. وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات[1].

ومعروف أن تعدد اللهجات وشيوعها بين المواطنين في البلاد العربية واتخاذها وسيلة للاتصال في البيوت والحياة العامة، وفي الكثير من المؤسسات الفاعلة والمؤثرة في التواصل اللغوي كأجهزة الإعلام والثقافة.

واللغة العربية واحدة من هذه اللغات، تشعبت إلى لهجات مختلفة وتباعد بعضها عن بعض، منذ أن امتد انتشارها، حتى تباينت عن اللغة الأم في كثير من المظاهر الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، إذ سلكت كل لهجة منها في تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها، تحت تأثير الظروف المحيطة بها وهذا أمر طبيعي مما يقتضيه قانون اللغات أنه متى انتشرت " اللغة في مناطق واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا ، بل لا تلبث أن تتشعب إلى لهجات. وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها حتى تصبح كل لهجة منها لهجة متميزة غير مفهومة إلا لأهلها...ولكنها تضل مع ذلك متفقة في وجوه أخرى، إذ يترك الأصل الأول في كل منها آثارا تنطق بما بينها من صلات القرابة ولحمة النسب اللغوي"[2].

إن من بين العوامل التي أدت إلى تباين العاميات العربة المعاصرة اختلاف اللغات التي اصطدمت بها اللغة العربية أثناء انتشارها، لأن اللغة العربية التي حملها العرب الفاتحون وصلت في صورتين " إحداهما موحدة

منسجمة وتلك هي لغة الآثار الأدبية والقرآن الكريم، تلك اللغة النموذجية التي نمت وازدهرت قبل الإسلام في بيئة مكة والحجاز، والأخرى تشتمل على تلك الصفات الكلامية التي امتازت بها لهجات القبائل المتباينة إبان الفتوح الإسلامية"[3]، وهذه اللهجات المختلفة التي انتقلت مع المسلمين من شبه الجزيرة العربية، اصطدمت بأخرى مختلفة عنها تماما، مما أدى إلى اصطدامها واحتكاكها بها، وهنا كان لابد من صراع بين اللهجتين- لهجة السكان الأصليين، ولهجة الفاتحين- أدى إلى سيادة إحداهما وسقوط الأخرى. لكن هذه الأخيرة لم تفن إلا بعد أن تركت بعض الآثار في اللهجات العربية. على الأقل من الناحية من الصوتية والمعجمية.

فلقد دام صراع القبطية مع العربية ثلاثة قرون، أدت في الأخير إلى انتصار العربية، لكنها خرجت من هذه الاحتكاكات ممثلة بالآثار القبطية، الأمر نفسه مع الآرامية في معظم بلاد العراق الشام، والأمازيغية في شمال إفريقيا، حيث تأثرت العربية ولهجاتها في كل منطقة من هذه المناطق بلهجاتها القديمة، وانحرفت في ألسنة أهلها انحرافا خاصا اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصلة ومناهج ألسنتهم القديمة، أما هذه الصفات الصوتية التي أثرت في اختلافات اللهجات العربية الحديثة، لم تتعد:

1. الاختلاف في مخرج بعض الأصوات.
2. الاختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات.
3. الاختلاف في مقياس بعض أصوات اللين.
4. التباين في النغمة الموسيقية للكلام.
5. الاختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض.[4]

إن تأثر اللهجات العربية الحديثة بالبيئة الجديدة والظروف المحيطة الأخرى أدى إلى تباينها، فمجموعة لهجات سوريا مثلا تختلف عن لهجات الجزائر، وهذه الأخيرة تختلف عن لهجات العراق وهكذا، وبعضهم يعتقد أن "مجموعة اللهجات المغربية أبعد اللهجات العامية جميعا عن العربية الفصحى. ويرجع السبب في ذلك إلى شدة تأثرها باللهجات البربرية التي كان يتكلم بها معظم السكان قبل الفتح العربي، فقد انحرفت من جراء ذلك انحرافا كبيرا عن أصولها الأولى في الأصوات والمفردات وأساليب النطق وفي القواعد نفسها"[5]، ومع هذا الاختلاف والانفصال عن أصول اللغة النموذجية، نجد أن هذه اللهجات الحديثة احتفظت ببعض الآثار القديمة التي يمكن أحيانا إرجاعها بسهولة ويسر إلى لهجات عربية قديمة، وهناك ما يمكن إرجاعها بعد بحث دقيق ودراسة عميقة.

إن بعضا من هذه التنوعات الصوتية التي تمايزت بها اللهجات العربية قديما، لا يزال مسموعا إلى يومنا هذا في الكثير من اللهجات الجزائرية، وتلمسان واحدة منها، ولما كانت تلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية، رغبت أن أكتب قليلا عن تلك المظاهر القديمة الأصيلة، التي تدل على الانتماء العميق للعربية والعرب، طبعا هذا لا ينفي خلوها من الترسبات الأمازيغية العالقة، لأنها كثيرة في تلك المنطقة، وسيكون تحليلي لما اخترته من

نماذج انطلاقا من المعايير الصوتية الحديثة بعيدا عن الذاتية، وستكون الكلمات الممثلة لتلك المظاهر مما سمعته مباشرة من المنطقة لا سيما أني مكثت بها عدة سنين وأعرف الكثير عن تلك اللهجات–تلمسان وما يجاورها–.

سيكون وصفي لتلك الأصوات كما هي جارية على ألسنة أصحابها، دون التعرض في البدء إلى أي نوع من الموازنات، أو الحكم على أي صلة لها لهجة قديمة، ولما كانت دراستي مقتصرة على بعض مظاهر الإبدال الصوتي النزيرة جدا لا ضير إذا لو عرفت الإبدال.

**1–الإبدال :**

هوإبدال صوت من كلمة بصوت آخر، وهو كثير في اللغة ويقع بين الأصوات المتقاربة في الحيز والمخرج وبين المتباعدة أيضا، حيث التفت اللغويون إلى إمكان تفسير الإبدال بأن تكون إحدى صورتيه لغة قبيلة والأخرى لغة قبيلة ثانية[6]. هذا الإبدال الذي يحدث في اللهجات غير مطرد ولا يخضع لشروط خاصة هذا ما حدث فعلا في اللهجات العربية قديما وحديثا.

**- الهمزة:**

الهمزة من الأصوات العربية التي لقيت عناية خاصة من النحاة واللغويين العرب القدامى حتى أفردوه بمؤلفات خاصة*، فهي في عرف الدارسين العرب القدامى صوت شديد مجهور[7] في حين هي صوت لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور في أي الدارسين المحدثين[8]، ويبدو أن هذا الأخير أخذ من وصف أحد الدارسين الأوروبيين الذي يصف صوت الهمزة بقوله: « It is neither breathed nor voiced »[9] أي أنه ليس بصوت مهموس ولا مهجور.

وعلى هذا يمكن تمثيل مراحل النطق بصوت الهمزة كما يأتي:[10]

المرحلة الأولى ← قطع النفس
المرحلة الثانية ← الانطباق
المرحلة الثالثة ← الانفجار

} الفصل بينهما أو النظر إلى إحداهما دون الآخر ← مرحلتان متداخلتان ولا يمكن

يمكن التمثيل لصوت الهمزة كالآتي:

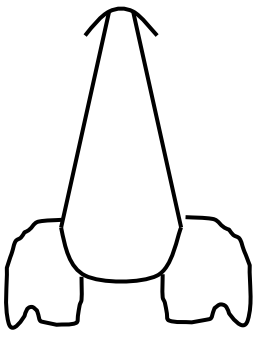

حالة الهمس

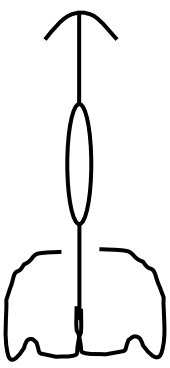

حالة الجهر

في حالة الهمس لا يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر مما يؤدي إلى عدم الجهر اهتزازهما عكس حالة الجهر التي يتذبذب فيها الوتران الصوتيان، ونلاحظ أن كلتا الحالتين، لا يمثلان المخرج الصحيح لصوت الهمزة، فشرط النطق بها أن ينطبق الخطان الغشائيان والغضروفيان انطباقا كاملا، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقا[11]، وبهذا يكون وضع الوترين في حالة النطق بالهمزة على الشكل الآتي:

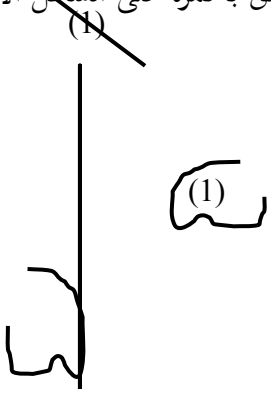


1. الغضروف الغطائي
2. الوترين الصوتين
3. الغضروف الهرمي الممثل في هذا الشكل

إن أي تغير في وضع الحنجرة خلاف هذا الوضع لا ينتج الهمزة، وإنما يؤدي إلى إحداث أصوات أخرى غيرها.[12]

إن عدم استقرارية وثبات صوت الهمزة يعد من العوامل الرئيسية في تفشي ظاهرة الإبدال التي تلحق بهذا الصوت، وهو أمر شائع في لهجة تلمسان على غرار باقي لهجات الجزائر، فلا نكاد نسمعها محققة أبدا، فهي إما مبدلة إلى واو أو ياء أو أنها محذوفة، أو تبدل عينا، لكنني أطلت الحديث ووصف هذا الصوت لأن حضوره غريب في لهجة تلمسان، حيث إنهم ينمازون به دون سواهم من مناطق الجزائر، هذا لأنهم يبدلون القاف إلى هذا الصوت، وهم مشهورون بهذا الإبدال من القديم، حتى أن جان كانتينو تحدث عنه في كتابه"دروس في أصوات اللغة العربية" المترجم إلى اللغة العربية.

فما السبب في اختيار ذلك الصوت؟ القاف واحدة من الأصوات التي أصابها التطورفبعد أن كان صوتا مجهورا[13]، أصبح اليوم صوتا مهموسا، وفوق ذلك فهو صوت لهوي، شديد (انفجاري)، شبه مفخم يتشكل بارتفاع أقصى اللسان حتى نقطة التقائه بأدنى الحلق واللهاة. ثم يرفع مؤخر الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق حيث يسد المجرى الأنفي. يحدث هذا دون تذبذب للوترين الصوتيين ثم يطلق سراح الهواء محدثا انفجار مسموعا هو القاف.[14] ، وانطلاقا من هذا الوصف ندرك السبب في اختيارهم للهمزة لأنها الصوت الأقرب إلى القاف في خصائصه وصفاته في المجموعة الحلقية.وهو بالتالي إبدال تجيزه الدراسات الصوتية الحديثة.

**2- أصوات الفم:**

سأختار في هذه المجموعة صوت الكاف لأن إبداله كان جاريا في اللهجات العربية القديمة، وهو غير موجود في تلمسان المدينة، لكنه متواجد أصلا في تخومها، مسيردة والغزوات

**الكاف:**

الكاف صوت طبقي [15] (حتكي قصي) انفجاري، (شديد)، مهموس مرقق لإحداثه يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يسلك طريقه إلى الحلق والتجويف الفمي إلى نقطة اتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى (الطبق اللين)، حيث لا يمنح الهواء مجالا للمرور. وحين تأتي لحظة إصدار الصوت ينفصل العضوان انفصالا مفاجئا، يتم معها اكتساب الصوت الانفجارية.[16]

في لهجة مسيردة والغزوات يصبح عبارة عن صورة ة مركبة من تاء وشين، فيقولون مثلا: (تشلب) في كلب، (نتشبر) في نكبر.

ومما سمعته أيضا قولهم: (تشان بيط وفكص) أي كان بيضا ثم فقس، حتى انه يمكننا القول أن كل كاف تقريبا في لهجة مسيردة أصبحا صوتا مزدوجا.، وهو ما كان يسمى في الدرس القديم بالشنشة أي إبدال كل كاف شينا.

هناك عبارة أخرى مشهورة في تلمسان وهي قوله:"خَايْ"، وإذا نظرنا إليها سنجد أن ما حدث على الأصل منطقي تقره الدراسات الصوتية الحديثة حيث حذفت الهمزة ثم نقلت حركتها إلى الخاء بعدها، ثم تسقط الألف (هذه الألف صورة للهمزة حسب الإملاء العربي، تسقط بسقوط الهمزة) لأنها صوت ساكن ، والعربية لا تبدأ بساكن، وقد يشمل هذا العاميات في بعض الأحيان، ثم في الأخير أشبعت حركة الخاء بضعف الكمية حتى صارت ألفا.

**2-القطعة:**

وهو لقب نسب قديما إلى قبيلة طئي وهو عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامه، "والقطعة في طيئ كالعنعنة في تميم، وهي أن يقولوا: يا آبا الحكا، وهو يريد: يا أبا الحكم، فيقطع كلامه عن إبانة بقيت الكلمة"[17]

وقد ورد مثل ذلك في قطع نهاية الكلمات منسوبا إلى قبائل أخرى كقول عبيد ابن الأبرص: ليس حي على المنون بخال.يقصد بخالد. ويقول لبيد بن ربيعة:

درس المنا بمتالع فأبانايقصد المنازل[18].

والقطعة هي حذف في الكلام سواء وقع الحذف على الاسم أو الفعل،اقتصادا للجهد العضلي عند العملية الكلامية، لان الأصل في الكلام أن تعطي الأصوات حقها في النطق، هذا الاقتصاد الصوتي موجود كثيرا في المنطقة، بل وفي كل اللهجات الجزائرية، وفي تلمسان نسمع قولهم"دَرْوْءْ"، أما أصلها ف:"هذا الوقت"، حيث حذفوا الهاء، وأبدلوا الذال دالا طلبا للسهولة، حيث يحتاج الذال إلى استرسال لرخاوته، وأبدلوا اللام- لام ألف التعريف- راء حيث يشتركان في الحيز وفي الكثير من الصفات، ثم حذفت الواو وأبدلت القاف همزة لتحذف التاء من بعدها. ومثل هذا النموذج كثير في منطوقهم، غير أنهم يمكن تعليله بالطريقة ذاتها في معظمه، وسنجد أن الأصوات المبدلة فيما بينها إما متماثلة أو متجانسة أو متقاربة إلا نادرا. أما الحذف فهو جار على اللسان طلبا للسهولة واليسر.

ولعل تسمية منطقة "لُورِيتْ" أحد مناطق تلمسان القريبة من عين فزة – كانت جنة على الأرض- تعود إلى تلك القطعة، فحسب الروايات أن أحدهم ذهب إلى هناك ولما إلى صاحب الأمر-الوالي على المكان- بدأ يخبره ويصف له سحر تلك المنطقة قائلا له:"لو رأيت....؟" حيث سقطت الهمزة وصارت لوريت.

وهكذا دواليك نجد الكثير من الكلام الفصيح في لهجة تلمسان، مع أنني لم أشر إلى كل الخصائص الصوتية، لكنني أقر يقينا على خلفية معرفتي باللهجة أن لهجة تلمسان أومجموع لهجاتها -- فهي كثيرة - تحوي من المظاهر الفصيحة ما يمكن رده بكل سهولة ويسر إلى أصوله العربية الأولى.

**مكتبة البحث:**


1- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي- أبو عمرو بن العلاء-، د.عبد الصبر شاهين، ط1، مكتبة الخانجي، 1408هـ-1987م، القاهرة، مصر.

2- الأصوات اللغوية- د. إبراهيم أنيس،دط، 1995م، القاهرة ، مصر.

3- الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء للنشر و التوزيع , عمان , الأردن , ط1 , 1998 .

4- علم اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي، دط، دار النهضة، 1945، القاهرة، مصر.

5- علم اللغة العام والأصوات"، د. كمال بشر، دط، مكتبة الشباب، دت.

6- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي , تحقيق د/ مهدي المخزومي , و د/ إبراهيم السامرائي , دار و مكتبة الهلال .

7- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط9، 1995.

8- القلب والإبدال ، أبو يوسف يعقوب ابن السكيت، تح حسن محمد شرف، مراجعة علي النجدي الناصف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرة، القاهرة، دط،1978.

9- الكتاب، سيبويه، تح بد السلام هارون،دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ-1991.

10- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون،دار الفكر، دت.

Daniel Jones, « An outline of English Phonetics », Cambridge, 1957


---

[1]- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس ، 16.

[2]- علم اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي، دط، دار النهضة، 1945، القاهرة، مصر، ص47.

[3]- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس ، 26.

[4]- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس ، 19.

[5]- علم اللغة ،د. علي عبد الواحد وافي، 150.

[6]- ينظر العين 168/1. المزهر 556/1، القلب والإبدال لابن السكيت 10.

[7]- ينظر ص 29 من الفصل الأول

* من هذه الكتب كتاب عبد الله بن إسحاق الخضرمي، وكتاب الهمز لأبي زيد.

[8]- "الأصوات اللغوية" د. إبراهيم أنيس،دط، 1995م، القاهرة ، مصر، ص91.

[9]- Daniel Jones, « An outline of English Phonetics », Cambridge, 1957, p138

[10]- "علم اللغة العام والأصوات"، د. كمال بشر، دط، مكتبة الشباب، دت، ص112.

[11]- من كتاب GENERAL PHONETICS، طبعة ميدسون، 1960، ص22.

[12]- "اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي- أبو عمرو بن العلاء-"، د.عبد الصبر شاهين، ط1، مكتبة الخانجي، 1408هـ-1987م، القاهرة، مصر، ص116.

[13]- ينظر ص42، من الفصل الأول

[14]- ينظر الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل، 179

[15]- ينظر ص 43 من الفصل الأول.

[16]- الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل، 178.

[17]-العين 196/1.

[18]- الكتاب 270/2.